مشروع ابن سنان البلاغي في تصور محمد العمري

Article title : The project of Ibn Sinan Khafaji in depicting Mohamed El-Omari .

سعيد بن دويفع*

جامعة ابن خلدون – تيارت (الجزائر) bendouifqq@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/24 تاريخ القبول:2021/04/20 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص :

يعد الدكتور محمد العمري أحد أبرز مجددي البلاغة العربية ومؤرخيها، ففي تَأْرِيخِهِ لها لم يسر على منوال المؤرخين السابقين في ترتيب علماء البلاغة حسب سنة الوفاة، كالذي نجده عند شوقي ضيف مثلا، وإنما عمد إلى النظر من زاوية مغايرة تماما، هدفها تصنيف البلاغيين وترتيبهم على حسب الجدية في الطرح، والقدرة على التنظير، كما قام بتقسيم البلاغة إلى أربعة مراحل، بدأت أولاها مع الجاحظ وابن وهب، وتعلقت الثانية بالجرجاني والخفاجي، ثم جاءت مرحلة السكاكي و القرطاجني، ليتنتهي التأريخ مع المراغي ومن عاصره .

وفي هذه القراءة التي بين أيدينا سنسلط الضوء على جزئية واحدة من المرحلة الثانية هي جزئية ابن سنان الخفاجي، محاولين فهم أهم ما تضمنته قراءة العمري لعمل هذا الرجل في كتابه سر الفصاحة، وما مدى تقييمه لها، بعد التعريف بها وبالخفاجي بطبيعة الحال .

الكلمات المفتاحية: العمري، الخفاجي، التصور، القراءة، التقييم .

***ABSTRACT* :**

Mohamed El-Omari is considered to be one of the most celebrated historians who gave much interest to rhetoric. In his chronicling of the rhetoric, he did not classify rhetoricians according to their date of death, like Chaouki Dhif did, but he followed a whole other method in doing so; he classified them according to their seriousness in posing, and capability of theorizing. El-Omari also divided rhetoric into for phases: the first one is of Al Jahiz and Ibn Wahb, the second one is of al-Jurjānī and al-Khafaji, and then came the third phase which was of al-Sqaqui and Al-Kartajini, as for the last one, it was of El-Maraghi and those who lived through it.

In this reading, we will shed the light on aspect of the second phase which is of Ibn Sinan al-Khafaji trying to understand the content of El-Omari's reading to this man's work Sir Alfasaha and how he evaluated it, after defining Al-Khafaji and his work.

***Keywords*:** El-Omari- Al-Khafaji- Depicting- Reading- Evaluating .

1. مقدمة:

تأثرت البلاغة العربية في القرن الثالث الهجري بتيارات عدة، فرضتها طبيعة الحالة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كانت قد عرفتها الأمة الإسلامية يومها، حيث أنّ اِتِّساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول

*المؤلف المرسل

الأعاجم في الإسلام، واندماجهم مع الجنس العربي في بوتقة واحدة، أدى إلى ظهور نوع من الصراع الفكري بين ما هو عربي، وما هو غير عربي، وظهر ما يعرف بـ" الشعوبية "، وهي حركة فكرية تحمل في معانيها أبرز معالم الصراع بين الطرفين، و" كانت أهم مطاعن الشعوبيين التي وجهوها إلى العرب أنهم كانوا بدوا رعاةَ أغنام وإبل، ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية ولا معرفة بالعلوم، فأين هم قديما من ملك الأكاسرة والقياصرة ؟ وأين هم من علوم الهند والفرس والكلدان واليونان والرومان ؟ وقد مضوا يُزرون على خطاباتهم واعتمادهم فيها على العصيّ وإشارتهم بها، كما أزروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة " [1]، وكان ممن انبرى للدفاع عن أصالة الأدب العربي أبو العلاء عمرو بن بحر الجاحظ، في كتابه " البيان والتبيين "، الذي يعد مهد البلاغة العربية وأصلها.

إضافة إلى ذلك كان هنالك نوع آخر من الصراع يحمل في معانيه أبعادا دينية بحتة، والذي يتجسد في ما كان بين المعتزلة والأشاعرة من خلافات عديدة، أبرزها مشكلة خلق القرآن الكريم، والصراع بين أصل الكلام هل هو من الأصوات أو المعاني ؟ ... الخ، وقد كان لذلك أثرا كبيرا على الدراسات البلاغية .

ويعد محمد العمري من بين أبرز الباحثين الذين ركّزوا على تأثير الاختلافات المذهبية على تطور البلاغة، وذلك في حديثه عن المرحلة الثانية من مراحل تأريخه للبلاغة العربية، ألا وهي " مرحلة الفصاحة والبلاغة "، حيث يقول : " تقف الاعتبارات المذهبية وراء ظهور تصورين متعارضين للبلاغة كان لهما أثر كبير وحميد في إغناء البلاغة العربية هما تصور ابن سنان الخفاجي الذي لم يُكتب له أن يَرُوجَ، وتصور عبد القاهر الجرجاني، وهما تصوران يتقابلان تقابلَ تعارضٍ إنجازا ومرجعية ومادة " [2]، وذلك ضمن مشروعه البلاغي الجديد الذي سلك فيه شقين كبيرين تمثل الأول منهما في التجديد عن طريق إعادة التأريخ للبلاغة العربية، وأما الثاني فقد تناول التجديد عن طريق مقاربة مختلف وجهات النظر الرؤى والدراسات بين البلاغتين العربية والغربية، من أجل حمل البلاغة العربية على مواكبة العصر، ولعل هذا ما تقتضيه ضرورات التجديد في عصرنا الحالي، " فالبحث عن قراءة جديدة معاصرة للبلاغة العربية هو حديث عن جانبين اثنين، أولهما : إعادة قراءة الدرس البلاغي العربي برؤية فاحصة لا تستسلم لنصوصه وإنما تبحث عن ما وراء النص، وثانيهما : محاولة الكشف عن منجزات هذا الدرس في ظل المنتوج النقدي الحديث : لسانيا، وتواصليا، وتداوليا، وأسلوبيا، على سبيل الحوار والتواصل وبيان نقاط التوافق والائتلاف أو الاختلاف، ليس على سبيل التطابق والاندماج والاختلاط والإلغاء أو التهميش " [3] .

ونحن في هذا المقال، لا نعنى بمشروع العمري كاملا، بقدر ما نحن معنيون بالجانب الأول فقط، وهو جانب التأريخ، أو بالأحرى، إعادة التأريخ للبلاغة العربية، حيث نسلّط الضوء على مرحلة واحدة منه، ألا وهي مرحلة الجرجاني والخفاجي، والتي يسميها العمري " مرحلة الفصاحة والبلاغة "، لنقتطف من هاته المرحلة أيضا

جانبا واحدا منها فقط، وهو جانب الفصاحة ممثلا في عمل ابن سنان الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة "، والذي تناوله العمري تحت عنوان " بلاغة الصحة والتناسب " .

وتجدر الإشارة إلى أنّ تقسيم تاريخ البلاغة العربية عند العمري جاء على أربعة مراحل، تمثلت أولاها في النشأة والظهور، وهي التي يسميها العمري بمرحلة النشأة – البيان والبديع – تلتها بعد ذلك مرحلة أخرى خُصصت فيها الدراسات البلاغية في جانبي الفصاحة والبلاغة فقط، ولذلك سماها العمري مرحلة الفصاحة والبلاغة، وقد مثل هاته المرحلة كل من الجرجاني والخفاجي، وهي مناط دراستنا هذه، ثم جاءت بعد هاته المرحلة مرحلة اقتصرت فيها الدراسات على كل ما يخص الأدب العربي، وقد مثلها السكاكي من خلال كتابه مفتاح العلوم، والقرطاجني في كتابه منهاج البلغاء، لكن سرعان ما أخذت البلاغة بعد ذلك تتلاشى شيئا فشيئا، حتى وصلت إلى أسفل الدركات، لتوصف عند العمري وهي على هاته الحالة بمرحلة تحنيط البلاغة، وهي أيضا مرحلة الانحطاط، التي يمثلها المراغي بكتابه علوم البلاغة .

وكما أشرنا سابقا فإنَّ ما يهمنا في هذه الدراسة هو ما يتعلق بعمل ابن سنان الخفاجي، كونه يمثل جزءا من المرحلة الثانية مرحلة الفصاحة والبلاغة، فما المقصود بمرحلة الفصاحة والبلاغة ؟ وما هو محتوى عمل الخفاجي فيها يا ترى ؟، ثم كيف كانت قراءة العمري وتقييمه لما جاء به ابن سنان في هاته المرحلة يا ترى ؟ .

هذا ما سنتناوله في المحاور الثلاثة التالية .

2. المتن :

2-1. المحور الأول : التعريف بمرحلة " الفصاحة والبلاغة " : تتعلق مرحلة الفصاحة والبلاغة في

المشروع البلاغي عند محمد العمري بعمل علمين جليلين في تاريخ البلاغة العربية هما عبد القاهر الجرجاني الأشعري المتوفى سنة 471 هـ، وابن سنان الخفاجي المعتزلي المتوفى سنة 466 هـ، وقد اعتبر العمري بأنّ مشروع الفصاحة متعلق بالخفاجي ومشروع البلاغة متعلق بالجرجاني، ولذلك يقول " اِجتهد كل من الفريقين في إثبات وجهة نظره ودحض رأي الخصم اعتمادا على معطيات عن علاقة اللغة بالفكر، وفي هذا الامتداد التقط البلاغيون في القرن الخامس خيط الكلام ليبنوا عليه تصورين بلاغيين متعارضين كمشروعين، متقاطعين كإنجازين، هما **مشروع الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ومشروع البلاغة عند الجرجاني** في بحثهما معا عن السر : سر الفصاحة وأسرار البلاغة " [4]، ولقد أطلق على هاته المرحلة اسم " مرحلة الفصاحة والبلاغة "، لأنها المرحلة التي تم فيها تخصيص الدراسات البلاغة من الجانب الخطابي العام الذي يهتم بالخطيب والخطبة والمستمعين في آن واحد، إلى الجانب الخاص الذي يدور حول محور واحد فقط هو محور اللفظة ومدى فصاحتها أو بلاغتها، فأصبحت بذلك مرحلة خاصة بالفصاحة والبلاغة فقط، وما يميز هذه المرحلة هو أنها مرحلة ذات نزعة مذهبية بامتياز، تعود إلى الصراع الفكري القائم بين المعتزلة، والأشاعرة .

هذا وقد تتبع العمري جميع المحطات التي مرّت بها البلاغة العربية في تأريخه لها بداية من نشأتها مع نزول القرآن الكريم، وتأسيسها مع الجاحظ، وازدهارها مع الجرجاني، إلى غاية وصولها للركود والانطواء على نفسها في قوالب من الأمثلة المبثوثة هنا وهناك، لتتجاذبها علوم ثلاثة هي : المعاني، والبيان، والبديع؛ ولقد كان هدف العمري من خلال مشروعه البلاغي الجديد، أن يعيد البلاغة إلى عهدها الأول، بلاغة لا تُحصر في ثلاثة علوم، ولا تُقيّد بمجموعة من الشواهد والأمثلة، ولا تُركز اهتمامها على ما هو فصيح فقط، أو ما هو بليغ، بلاغة تتجاوز كل هذا وذاك إلى أمر آخر تماما هو استيعاب كافة أنواع الخطاب الاحتمالي، وبذلك تعود البلاغة إلى أصلها الأول، أي إلى الاتجاه الذي سارت فيه من قبل نحو الشمولية والاتساع وهو الأصوب في نظر العمري .

ولقد اصطلح العمري على كُلٍّ من عمل الجرجاني والخفاجي مصطلحا خاصا به، حيث سمى عمل الخفاجي بـ " بلاغة الصحة والتناسب "، وسمى عمل الجرجاني بـ " بلاغة الغرابة الشعرية والمناسبة التداولية "، وسنتناول فيما يلي، تعريفا بالخفاجي وكتابه سر الفصاحة، ثم قراءة العمري لعمل الخفاجي في هذا الكتاب .

2-2. المحور الثاني : التعريف بابن سنان الخفاجي وكتابه سر الفصاحة : تعتبر الفصاحة جوهر الكلام العربي والواجهة التي بها يعرف موقع الرجل ومكانته بين قومه، أو بين أقرانه من أهل العلم إن كان عالما، كما أنها الوسيلة المثلى والطريقة الأسهل لتفعيل معنى البلاغة، ذلك أنّ من أوتي لسانا فصيحا قادرا على نطق الحروف على حقيقتها لن يجد صعوبة في إبلاغ المعاني على حقيقتها هي الأخرى، وأما العاجز عن النطق السليم فإنه قد يستطيع تبليغ المعاني بطريقة أو بأخرى، ولكنه لن يدرك ما يدرك الفصحاء من الناس مهما اجتهد .

وإذا كانت الفصاحة جوهر الكلام كما قلنا من قبل، فإن جوهر الفصاحة في حد ذاتها هو الصوت الحسن، فالأصوات هي التي تساعد الفصيح على تأدية دوره على أكمل وجه، ومن هنا فقد " اتخذ اللغويون من الأصوات وصفاتها دليلا يستدلون به على فصاحة الألفاظ وأصالتها، أو شناعتها وغرابتها عن لغتهم، فوجدنا النحاة يعللون ويفسرون ما يطرأ على أبنية الصيغ والتراكيب من تغير وتبدل، بما توجبه قوانين الصوت ونظمه، وألفينا البلاغيين ينظرون في جيد الشعر والنثر ويحكمون عليه مستندين إلى خصائص الأصوات وجمالها وتناغمها وموسيقاها " [5] .

ولعل هذا ما يفسر فرض العرب في عاداتها وتقاليدها، أن لا يتقدّم فيها خطيب يشكو من عاهة في نطق بعض الحروف أو أن يكون فاقدا لبعض أسنانه مما يؤثّر على صوت الحرف المنطوق .

ورغم الاهتمام البالغ الذي عُرف عن العرب بالفصاحة الكلمة، إلاّ أنه يندر أن يفكر علماء البلاغة يوما في تصنيف مؤلف يكون من شأنه البحث في شروط الفصاحة، عدا ما كان من " أبي أحمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، من علماء القرن الخامس الهجري، الذين تميّزوا في ميدان البلاغة، ولد ببلدة عزاز من أعمال حلب سنة 423هـ، وكان أبوه من أشراف البلدة " [6]، " ولقد استطاع العلماء معرفة سنة

ميلاده من خلال قصيدة نظمها سنة 443هـ، إذ أنه لم يكن في كتب المؤرخين ما يشير إلى تاريخ ميلاده " [7]، والقصيدة المعنية وردت في ديوان الخفاجي المحقق من طرف كل من مختار نويرات ونسيب نشّاوي، وهي قصيدة احتوت على اثنين وأربعين بيتا، مدح فيها الخفاجي أحد أشراف العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، في سنة ثلاث وأربعمائة هجرية، منها هذان البيتان اللذان يمثّلا " بيت القصيد "، وهما قوله :

وَقُورٌ إِذَا طَرَّقَتْنِي الخُطُوبُ * وَحَلَّ مِنَ الخَوْفِ عِقْدُ النُّهَى
بِعِشْرِينَ أَنْفَقْتُهَا فِي الصُّـدُو * دِ، وَجُدْتُ بِهَا فِي زَمَانِ النَّوَى [8]

وقد ألّف كتابه " سر الفصاحة " لما رأى الناس مختلفين في الفصاحة وحقيقتها، وفي رأيه علم الفصاحة له تأثير كبير في العلوم الأدبية، لأن الزبدة منها نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرف ما يختار منه، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى لمن ينتحل الأدب عن دراسة الفصاحة على النحو الذي اهتدى إليه في " سر الفصاحة "، وكذلك العلوم الشرعية، لأن المعجز الدال على نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن، والخلاف الظاهر فيما كان به معجزا على قولين : أحدهما أنه خرق العادة بفصاحته، وجرى ذلك مجرى قلب العصا حية، والقول الثاني : أنّ وجه الإعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أنّ فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف "[9] .

والمطلّعُ على كتاب " سر الفصاحة " يجد أنّ مؤلِّفه قد استهله بأربعة فصول فصل في الأصوات، وفصل في الحروف، وفصل في الكلام، وفصل في اللغة، ثم انتقل إلى الحديث عن الفصاحة كفصل مستقل عن البقية، وإن لم يسميه كذلك، معتبرا أنها " الفصاحة الظهور والبيان، ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفصُح فهو فصيح، قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح [10]

ويقال : أفصح الصبح إذا بدا ضوءه، وأفصح كل شيء إذا وضح، وفي الكتاب العزيز : وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي "، وفصح النصارى عيدُهُم، وقد تكلمت به العرب، قال حسان بن ثابت الأنصاري :

ودنا الفصح فالولائم ينظم * ـن سراعا أكلَّة المرجان [11] " [12]

وبعدها انتقل للحديث عن الفرق بينها وبين البلاغة وهو الفرق الذي يظهر في " أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا " [13]، ولقد أشار ابن سنان إلى أنّ كلامه عن الفصاحة لا يتمايز عن كلامه عن البلاغة إلا في موضع الفرق بينهما،

وفي هذا ما يدل على أنّ ابن سنان لم يكن ليجرأ على الفصل بين البلاغة والفصاحة بالرغم من أنه ينتصر للفصاحة نصرة للمذهب المعتزلي، وهو ما يجعلنا نتأكد من أنّ الفصاحة والبلاغة وجهان لعملة واحدة لا يمكن نزع أحدهما عن الآخر، وإن كان هنالك فرق بينهما فإنه لا يعدو أن يكون في ارتباط الفصاحة بالألفاظ وارتباط البلاغة بالمعاني، يقول الخفاجي : " وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو، وإذا كانت الفصاحة شرطها وأحد جزأيها، فكلامي على المقصود – وهو الفصاحة – غير متميّز إلا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدّمت ذكره، فأما ما سوى ذلك فعامٌّ لا يختص، وخليط لا ينقسم " [14] .

وعلى أي حال، فإنّ الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة " وبعد أن انتهى من التعريف بالفصاحة والبلاغة والتفريق بينهما، تفرّغ بعد ذلك للحديث عن شروط الفصاحة، وهي الشروط التي قسمها ابن سنان إلى قسمين، واحد يتعلق باللفظة الواحدة، وآخر يتعلق الألفاظ المركّبة، وذلك على النحو التالي :

أ– شروط فصاحة اللفظة الواحدة : هناك ثمانية شروط للفصاحة في الكلمة أو اللفظة الواحدة عند الخفاجي وهي :

الشرط الأول : تباعد مخارج الكلمة الواحدة : وهذا الشرط استلهمه الخفاجي من مثال أورده حول الألوان، حيث أنّ الألوان المتباينة إذا جمِعت مع بعضها البعض سهل على الناظر إليها ان يميز بينها، أما الألوان المتقاربة فإنها ستصل إلى حد الاختلاط فيما بينها مما يصعب عملية التفريق بينها، يقول الخفاجي : " الأول – أي الشرط الأول – أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج، وعلة هذا واضحة، وهي أنّ الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولاشك في أنّ الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود " [15] .

الشرط الثاني : أن تكون اللفظة حسنة في السمع : ويأتي هذا الشرط الثاني الذي يتعلق بحسن اللفظة عند السماع، وهو الحسن الذي يجعلها تنال ميزة جلية عن غيرها من الألفاظ، على الرغم من أن هاته الألفاظ قد تكون متساوية جميعا في التباعد بين حروفها، أي أن الخفاجي يضيف إلى شرط تباعد الحروف في الكلمة الواحدة، والذي عرفناه سابقا، شرطا آخر مكملا وهو شرط الحسن، حيث يقول : " والثاني أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أنك تجد لبعض النغم والأوان حسنا يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه، ومثاله في الحروف –ع ذ ب – فإن السامع يجد لقولهم – العذيب اِسم موضع، و عُذَيْبَة اِسم اِمرأة، وعذب وعذاب وعذَبَ، وعذبات – ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التأليف، وليس سبب ذلك بعد الحروف في المخارج فقط، ولكنه تأليف مخصوص مع البعد، ولو قدّت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى في تقديم العين على الذال، لضرب من التأليف في النغم يفسده التقديم والتأخير " [16] .

الشرط الثالث : أن تكون اللفظة غير وحشية : لقد أخذ الخفاجي هذا الشرط من الجاحظ، وهو شرط جد منطقي وجد ضروري في كلام العرب شعرا ونثرا، لآن اللفظة إن كانت وحشية فإنها تشوش على السامع عملية الفهم، فبدلا من أن يركز على الكلام الذي يلقى إليه، تجده ينحرف إلى هاته الكلمة وحدها ويعمل فيها عقله لكونه لم يعتد على سماعها من قبل، وربما تجده لم يسمع الكلام كله إلا تلك الكلمة، وهذه من أشد مضارّ الكلام إن كانت فيه ألفاظ وحشية، وفي هذا يقول الخفاجي : " والثالث أن تكون الكلمة – كما قال أبو عثمان الجاحظ – غير متوعّرة وحشية كقول أبي تمام :

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه * بلا طالع سد و لا طائر كهل [17]

فإن كهلا ها هنا من غريب اللغة، وقد روي أن الأصمعي لم يعرف هذه الكلمة وليست موجودة إلا في شعر بعض الهذليين، وهو قوله :

فلو كان سلمى جاره أو أجاره * رياح بن سعد رده طائر كهل [18]

وقد قيل : إنّ الكهل، الضخم، وكهل لفظة ليست بقبيحة الأليف لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الأصمعي " [19]

الشرط الرابع : أن لا تكون اللفظة عامية : وليس بعيدا عن الألفاظ الوحشية التي عرفناها مع الشرط الثالث الآنف الذكر، ها هو ذا الشرط الرابع المتعلق بالألفاظ العامية، ولهاته الألفاظ نفس فعل الألفاظ الوحشية، فهي أيضا تشوش على السامع، وتلفت انتباهه من التركيز على فهم الكلام كله وما المراد منه، إلى التركيز على كلمة واحدة لا تمت إلى العربية بصلة كونها من الكلام العامّي، وهنا يقول الخفاجي : " والرابع أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية، كما قال أبو عثمان أيضا، مثال الكلمة العامية قول أبي تمام :

جليتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صفحتِهِ * وقد تَفَرْعنَ في أفعالِهِ الأجلُ [20]

فإنّ – تَفَرْعَنَ – مشتق من اسم فرعون، وهو من ألفاظ العامة، وعادتهم أن يقولوا – تفرعن فلان – إذا وصفوه بالجبرية " [21] .

ولقد أورد الخفاجي في هذا الشرط أمثالا عديدة تزيد عن الحصر، والتي اكتفينا فيها بإيراد مثال واحد فقط، على أننا رأينا ضرورة نقل هذا القول للخفاجي والذي يبيّن فيه أنّ كثرة الأمثلة التي أوردها لا تعني بالضرورة انتقاصه من أصحابها، ولا التنكّر لهم خاصة إن كانوا من أشهر الشعراء حيث يقول : " وليس إيرادي هذه الأمثلة على جهة الطعن على هؤلاء الشعراء الفضلاء والغض منهم، وكيف يكون ذلك، وسأورد من غرائبهم وبدائع كلامهم ما يعلم معه أننا تحت تقصير عن شأوهم، ويقع العجز عن إدراك القريب من غاياتهم ،

لكني إذا احتجت إلى إيراد الأمثلة في المختار والمنبوذ، والمحمود والمذموم، فلا معدل لي عن أشعارهم وتصفح نظمهم، ، وأخذ ما أريده منها وإيراده عنها في الصنفين معا " [22] .

الشرط الخامس : أن لا تكون اللفظة شاذة : وبهذا الشرط يحيلنا الخفاجي إلى وجهة نظر جديدة في الدراسة، وهي التي تتمثل في حالة فريدة من نوعها، تكون فيها اللفظة غير عامية، ولا وحشية، ومع ذلك لا تكون فصيحة، والسبب في ذلك أنها لفظة قليلة الاستعمال جدا، بل إنها لفظة شاذة، وعليه يشترط الخفاجي من شروط الفصاحة عدم وجود لفظة شاذة، وهو شرطه الخامس حيث يقول : " والخامس أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذّة، ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد يكون ذلك لأجل أنّ اللفظة بعينها غير عربية، كما انكروا على أبي الشيص قوله :

وجناح مقصوص تحيّف ريشَه * رَيْبُ الزمان تحيف المرقاض [23]

وقالوا : ليس المقراض من كلام العرب " [24] .

الشرط السادس : استعمال الكلمة في موضعها الحقيقي : ومن الشروط أيضا موافقة الكلمة للمعنى الذي وُضعت له، وإن كانت على غير معناها، فإنها لا تكون عند الخفاجي كلمة فصيحة، وهذا هو الشرط السادس، حيث يقول : " والسادس أن لا تكون الكلمة قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فإذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبّحت وإن كملت في الصفات التي بيّنّاها، ومثال هذا قول عروة بن الورد العبسي :

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا * عشية بتنا عند ماوان رُزَّحِ [25] .

والكنيف أصله الساتر، ومنه قيل للترس كنيف، غير أنه قد استعمل في الآبار التي تستر الحدث وشهر بها، فأنا أكرهه في شعر عروة، وإن كان ورد موردا صحيحا، لموافقة هذا العرف الطارئ " [26]

الشرط السابع : اعتدال حروف اللفظة : أيضا من شروط الفصاحة في الكلمة عند الخفاجي، أن تكون حروف الكلمة الواحدة معتدلة، ومعنى معتدلة هنا هو أن تكون حروفها متوسطة أو قليلة ولا تكون كثيرة إلى الدرجة التي يصعب على قائلها أن يرددها أكثر من مرة، وهذا الشرط المتعلق بالاعتدال هو الشرط السابع عند الخفاجي، وفيه يقول : " والسابع مما قدّمناه أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة، ومن ذلك قول أبي نصر بن نباتة :

فَإِيَّاكُمُ أَنْ تَكْشِفُوا عَنْ رُؤُوسِكُمْ * أَلَا إِنَّ مَغْنَاطِيسَهُنَّ الذَّوَائِبُ [27]

ف " مغناطيسهن كلمة غير مرضية لما ذكرته، وإن كان فيها أيضا عيوب أخر مما قدّمنها " [28] .

الشرط الثامن : تصغير اللفظة عند الضرورة : ويأتي الشرط الثامن والأخير، وهو الشرط الذي يراعي فيه الخفاجي مسألة مطابقة اللفظة لما قُصد منها، وهو ما يشبه الشرط السادس السابق الذكر، إلا أنّ هذا الشرط مرتبطٌ بالتصغير فقط، والذي يقول فيه الخفاجي : " والثامن أن تكون الكلمة مصغّرة في موضع عبِّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك، فنها أراها تحسن به، ويجب ذكره في الأقسام المفصّلة، ولعل ذلك لموقع الاختصار بالتصغير، مثال ذلك قول الشريف الرضي :

يولِّع الطل بردينا وقد نسمت * رُوَيْحَةُ الفجر بين الضال والسَّلَمِ [29]

فلما كانت الريح المقصودة هناك نسيما مريضا ضعيفا حسنت العبارة عنه بالتصغير، وكان للكملة طلاوة وعذوبة " [30] .

ب– شروط فصاحة الألفاظ المؤلفة (المركبة) : بعد أن بيّن الخفاجي شروط فصاحة الكلمة الواحدة، انتقل إلى فصاحة الكلمات أو الألفاظ المؤلَّفَةِ، والحديث عن فصاحة الألفاظ المركبة يقود إلى الحديث عن التناسق بين معاني الألفاظ المركبة، وفي هذا تعريض بنظرية النظم عند الجرجاني، وهو الأمر الذي يؤكّد مدى التَّنَاقُحِ الفكري الكبير بين الرجلين على الرغم من اختلافها عقيدة وعلما، وإن كان تَنَاقُحًا جزئيا في مثل هذه الحالة .

ولعل أهم ما يميز شروط الفصاحة في الألفاظ المركّبة عن الألفاظ المركّبة في عمل الخفاجي، هو أن الخفاجي استدل لكل شرط من تلك الشروط الثمانية الآنفة الذكر حالة أو مثالا خاصا به، وأبياتا شعرية خاصة به، أما هنا فإنه يجمع الكل في مثال واحد حيث يقول : " وإذا كنا قد تلكمنا على الكلمة المفردة، وقلنا فيها ما يستدل به على غيره، فلنذكر الآن ما يحضرنا من القول في الكلام المؤلف، وهو القسم الثاني مما ابتدأنا بذكره أوّلا، ، ونقول قبل ذلك : إنّ كل صناعة من الصناعات فكمالها بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء، الموضوع، وهو الخشب في صناعة النجارة، والصانع وهو النجار، والصور وهي كالتربيع المخصوص إن كان المصنوع كرسيا، والآلة مثل المنشار والقدّوم وما يجري مجراهما، والغرض وهو أن يقصد على هذا المثال الجلوس فوق ما يصنعه " [31] .

واللافت للنظر في هاته المسألة هو أنّ الخفاجي – وعلى غير العادة – انتقل من التمثيل إلى التعريف، حيث قام بإعطاء أمثلة عن شروط فصاحة الألفاظ المركبة، أي الموضوع، والصانع، والصورة، والآلة، والغرض، وهي التي أوردناها الآن، ثم أعطى مفاهيم كل منها كما نورده على النحو التالي :" فالموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات، والصانع المؤلف هو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض، كالشاعر والكاتب وغيرهما، وأما الصورة فهي كالفصل للكتاب والبيت للشاعر، وما جرى مجراهما، وأما الآلة فأقرب ما قيل فيها : إنها طبع هذا الناظم،

والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك، وأما الغرض فبحسب الكلام المؤلّف ، فإن كان مدحا كان الغرض به قولا ينبئ عن عظم حال الممدوح، وإن كان هَجْوًا فَبِالضِّدِّ ... الخ " [32] .

2-3. المحور الثالث : قراءة العمري وتقييمه لعمل الخفاجي : نصل مع هذا المحور الأخير إلى لب الدراسة كلها، حيث سنقدم قراءة محمد العمري لعمل ابن سنان الخفاجي، وتقييمه لهذا العمل، مما يمكننا من معرفة مكانة ابن سنان في الرؤية التجديدية للبلاغة العربية لدى العمري من جهة، ودوره في الربط بين علماء البلاغة من جهة أخرى .

2-3-1. قراءة العمري لعمل الخفاجي :

أما عند محمد العمري، فإن ابن سنان الخفاجي يعد محطة هامة من محطات البلاغة العربية، على الرغم من قصر عمره، وشُحِّ مؤلفاته، ولقد بيّن العمري سبب اهتمامه بعمل الخفاجي في قوله : [نولي عمل ابن سنان أهمية كبيرة لاعتبارين : أولهما كونه يمثل أحسن، بل أجرأ محاولة لصياغة مشروع للبلاغة الصوتية انطلاقا من رصيد معرفي وخلفية مذهبية تريد أن تؤوّل وتوجّه، مثل أي دعوى أيديولوجية، قضايا الأدب لتتلاءم مع مبادئها ومنطلقاتها، إنّ الدعوى في هذه الحال، لا تقل أهمية في نظر المؤرّخ عن الإنجاز، وثانيهما كون ما أنجزه في حوار بين الخلفية المذهبية والممكن، أي ما تتيحه ثقافة العصر في بعديها التراكمي العربي والمنهاجي والفلسفي اليوناني، مثّل أحسن صورة للبلاغة في مفهومها الكلاسيكي : أناقة الخطاب . وهي بلاغة تمثل رؤية ومنهجا يقفان في وجه رؤية ومنهج آخر يمثله عبد القاهر الجرجاني، وفهم أحد المذهبين رهين بفهم الآخر] [33] .

ولعل الجرأة التي وصف العمري بها عمل ابن سنان، تعود إلى كونه أول من حذا بالبلاغة حذو النحو والعروض، " فإذا كشف النحاة سر صناعة الإعراب وخصائص اللغة، وكشف العروضيون سر موسيقى الشعر : نسق توالي الأزمنة في الحركة والسكون، فما الذي يمنع نقاد الكلام من كشف سر الفصاحة وأسرار البلاغة ؟ " [34] ، وعلى هذا الأساس فإن ابن سنان إذ يعمد إلى الكشف عن سر الفصاحة، سيقوم حتما بتقصي شروط الكلام الصحيح، وغربلة الألفاظ العربية المنثورة فيما تركه العلماء قبله في مؤلفاتهم، وهو ما يعرف بعملية النقد، أي نقد الكلام العربي، حيث يقول العمري في هذا الصدد : " انطلاقا من هذه الأرضية المنهاجية ومن التصور المذهبي السابق ذهب ابن سنان إلى أنّ نقد الكلام فرع أو كالفرع من مبحث الأصوات، ويفهم من كلامه أن الفصاحة تنضوي ضمن نقد الكلام " [35] .

وعلاوة على ذلك يرى العمري بأن الخفاجي تنقّل عبر مراحل عديدة باحثا عن سر الفصاحة عند العرب، وكان يؤمن إيمانا يقينيا بأنها المنفذ الوحيد لفهم البلاغة كلها، وهو بذلك يهمل أو لا يكاد يعنى تماما بجانب المعنى، إلا أنه سرعان ما استدرك الأمر ليلتفت إلى المعنى ويعترف بمكانته الهامة والضرورية في البلاغة العربية، فهو " لم يكد ينتقل من المستوى المذهبي إلى المستوى البلاغي حتى بدأ ينزاح عن المفهوم الصوتي

الصرف خطوة تلو الأخرى حتى اعترف صراحة بضرورة فتح الباب للمعنى إلى جانب الصوت ليتسع الكلام للفصاحة والبلاغة معا " [36] .

وبخصوص الخطوات التي اتبعها الخفاجي، يرى العمري، بأنه بدأ من الصوت إلى اللفظ، وفي اللفظ أو اللفظة الواحدة، من المفرد إلى المؤلَّف، وهنا يبرز شروط الفصاحة الثمانية الآنفة الذكر، إلا أن العمري قد قام بتقسيمه إلى قسمين مع المحافظة عليها كما هي بل وتكرارها أيضا، حيث سمى القسم الأول، شروط فصاحة المفردات منفصلة، والثاني شروط فصاحة المفردات مؤلفة (أي مقترنة ببعضها)، ليضيف قسما ثالثا متعلقا باللفظة المؤلفة، ويسميه : ما ينفرد به التأليف من الشروط والنعوت، وفيه اِثنا عشر شرطا على خلاف السابقين، اللذين احتويا على ثمانية فقط، وبعد هذا كله ينتقل إلى معالجة إشكال الفصاحة والبلاغة، وهنا تتوسع الدائرة عند الخفاجي من اللفظ إلى المعنى ومن الفصاحة إلى البلاغة [37] .

أورد العمري ماهية المعاني المفردة التي يرمي إليها الخفاجي على النحو التالي : – معاني موجودة في أنفسنا – معاني موجودة في أفهام المتصورين لها – معاني موجودة في الألفاظ الدالة عليها – ومعاني موجودة في الخط؛ والذي يهم ابن سنان المعاني الموجودة في الألفاظ دون الأقسام الأخرى " [38] .

هذا وقد قسّم العمري عمل الخفاجي إلى قسمين هما : الصحة والتناسب، اللذان يمثلان جوهر الرؤية البلاغية في منجزه، وعليهما تتأسس الدراسة ، حيث يقول : " لقد استهوتني، في البداية، قسمة ثنائية تمحور مادة الكتاب حول محورين أساسيين : الصحة والتناسب، فهما مفهومان يخترقان الكتاب من أوله إلى آخره، ويستوعبان مادته إلى حد كبير، خاصة حين نكمل الصحة بالاعتدال ونكمل التناسب بالانسجام، فيمكن القول بأنّ عمل ابن سنان يقوم على أساسين : 1– الصحة والاعتدال 2– والتناسب والانسجام ، ومن الأكيد – يضيف العمري – أنّ أي دارس يحمل هم تفسير رؤية الرجل سيميل إلى هذا التصنيف، لأنه يكشف عن انتماء بلاغة ابن سنان، فالصحة والتناسب تشكلان جوهر الفكر البلاغي الكلاسيكي، الصحة هي، في الغالب، جواز مرور للمحافظة [*] ، والتناسب هو ترجيح للحسي البسيط (المسموع هنا) على العقلي المعقّد الذي يرصد عناصر التنافر والشذوذ في اللغة والحياة، ويرصد العلاقات البعيدة، وبعبارة أخرى فغن الحسي يهادن العقل ويداعب الأذن " [39]

ولمزيد من التوضيح نورد تعريفات العمري للعناصر الأربعة التي تنبني عليها بلاغة الخفاجي على النحو التالي :

1– الصحة أو المحافظة : تتجلى المحافظة في الإلحاح على احترام الأعراف والسنن اللغوية والاجتماعية والفنية، وقد تجلى إلحاحه على ذلك في الاهتمام بصفاء المعجم الشعري، وتقديم التمفصل الطبيعي للغة، ورفض الضرورات الشعرية، كما تجلى في الحديث عن المعاني المناسبة للأغراض [40] .

2– الاعتدال : يمكن التمييز بين مستويين في الدعوة إلى الاعتدال في عمل ابن سنان :

2-1- الاقتصاد في البديع : وهو مستوى عام يتعلق بالاقتصاد في استعمال الصور البلاغية، وكثيرا ما لا يعدو عمل البلاغي، ابن سنان أو غيره، في هذا المجال إعلان الموقف، ويمثل هذا المستوى العام الذي يندرج فيه المستوى الخاص ويفسر في إطاره [41] .

2-2- مقاربة الحقيقة : وهي مستوى خاص ينصرف إلى العلاقات القائمة أو المطلوبة بين الأطراف، أثناء عمليات الإلحاق أو النقل الدلاليين، وهذا هو المجال الذي نعتني به هنا –كما يقول العمري – والذي يتميز عمل ابن سنان في هذا المستوى بالأصالة والعمق بقطع النظر عن اتفاقنا معه في أصل الاختيار أو عدم اتفاقنا، ومجال الدعوة إلى مقاربة الحقيقة عند ابن سنان هو مجال الإلحاق والنقل الدلاليين عن طريق التشبيه والاستعارة والتمثيل والإرداف، بالإضافة إلى تناوله مباشرة لإشكالية الوضوح والمبالغة، إما ضمن شروط فصاحة اللفظ وبلاغته، كما هو الحال بالنسبة للوضوح، أو في تذييل الحديث عن شروط بلاغة المعنى كما هو الحال بالنسبة للمبالغة [42] .

3- الانسجام : تتجه مجموعة من شروط بلاغة المعاني المفردة عند المؤلف إلى ضمان انسجام الخطاب إلى مستويين :

3-1- المستوى الدلالي المنطقي : وقد جمعه المؤلف في شرطين متكاملين هما :

1- تجنب الاستحالة والتناقض .

2- عدم وضع الجائز مكان الممتنع .

3-2- مستوى الموضع أو مستوى المحتويات : وتناوله تحت عنوان : صحة النسق والنظم [43] .

4- التناسب : التناسب لا يعني المناسبة، ذلك أنّ المناسبة حكم قيمة يتعلق بوضع الأمور في مواضعها المناسبة، ومن هنا اعتبرناها قيمة عامة مطلوبة عند ابن سنان بوجه عام، أما التناسب فينصرف إلى وجود طرفين متجاوبين دلاليا أو صوتيا، وقد خصصنا التناسب الدلالي بمصطلح التعادل، كما خصصنا التناسب الصوتي بالتوازن .

4-1- التناسب الدلالي : التعادل : حاولنا أن نستوعب – يقول العمري – تحت هذا المفهوم مجموعة من شروط المعاني بالإضافة إلى القسم الثالث من تناسب الألفاظ من جهة المعنى أي الطباق، وعلى ذلك فالتعادل الدلالي يضم :

أ – صحة التقسيم (الشرط الأول من شروط بلاغة المعاني المفردة / تباعد المخارج) .

ب – صحة المقابلة (الشرط السادس من شروط بلاغة المعاني المفردة / استعمال الكلمة في موضعها الحقيقي) .

جـ – صحة التفسير (الشرط الثامن من شروط بلاغة المعاني المفردة / تصغير اللفظة عند الضرورة) .

د – تناسب الألفاظ من جهة المعاني : يرى العمري بأن " تناسب الألفاظ عن طريق المعنى، عند الخفاجي على وجهين : أحدهما أن يكون معنى اللفظتين متقاربا، والثاني أن يكون أحد المعنيين مضادا للآخر أو قريبا من المضاد، فأما إن خرجت الألفاظ عن هذين القسمين فليست بمتناسبة " [44] .

4-2- التناسب الصوتي : التوازن : تناول ابن سنان قضية التوازن الصوتي من زاويتين في موقعين مختلفين من كتابه، تناولها من زاوية سلب العيب في باب شروط فصاحة اللفظ، وتناولها من زاوية تحصيل المزية في الشرط الثامن من شروط فصاحة التأليف : المناسبة بين الألفاظ [45] .

2-3-2. تقييم العمري لعمل ابن سنان الخفاجي :

لقد درس محمد العمري عمل ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة في المرحلة الثانية من مراحل تطور البلاغة العربية، كما سبق وأن أشرنا من قبل، وفي خضم هاته الدراسة خَلُصَ العمري إلى مجموعة من النقود والآراء والتعقيبات التي من شأنها أن تبيّن ما مدى تقييمه لعمل الخفاجي في إطار مشروعه الكبير الهادف إلى إعادة التأريخ للبلاغة العربية وتجديدها؛ ولعل الشيء اللافت للانتباه هو أنه لم يقم بالإشارة إلى هاته النقود إشارة مباشِرةً، في فصل معيّن أو مبحث معيّن خاص بها، وهذا ما جعلنا نعمد إلى تتبع مؤلفات العمري ونقل بعض الآراء المبثوثة هنا وهناك والتي من خلالها نستطيع معرفة كيف كان تعقيبُ العمري على الخفاجي، وهو ما سنورده في النقاط التالية :

أولا : وصف العمري عمل الخفاجي بكونه عملا يحمل في طياته معاني الدقة، والشمولية والاتساع، كما أنه اعتبر ما جاء به الخفاجي أول عمل يخرج البلاغة من قيود فرضتها عليها علوم أو مباحث أخرى كالعروض، والقوافي، والبديع، وهو ما يُستنبط من خلال قوله : " إن العملية التي قام بها ابن سنان لتصنيف المكونات الإيقاعية تحت مفهوم واحد، هي أوسع وأدق عملية تصنيفية عرفتها اللغة العربية إلى حدود عصره، فقد استطاع تجريد هذا المفهوم من مباحث كانت قائمة الذات ومن شأنها أن تشكل عائقا في وجه أي عملية بنيوية منه هذا القبيل، والمباحث المقصودة هي : العروض، القوافي، البديع [46] .

ثانيا : ومما يراه العمري في عمل الخفاجي هو اعتباره أنَّ هذا العمل يعد الخيط الرابط بين تصور قدامة بن جعفر للبلاغة العربية، وتصور حازم القرطاجني لها، كما أنه قد لاحظ أنّ استفادة الخفاجي من الجاحظ بدت واضحة جدا، وفي هذا يقول : " مع استفادة ابن سنان من بيان الجاحظ، فإن مشروعه يمثل حلقة وصل بين تصور قدامة بن جعفر، وتوجه حازم القرطاجني، وهذا بارز في تعامل المجموعة مع المكون الصوتي الإيقاعي [47] .

ثالثا : كذلك يرى العمري بأنّ الخفاجي لم يميّز بين أنواع الخطاب الاحتمالي (الخطابة، والشعر، والرسائل ... الخ)، وأن الفصاحة عنده تبقى على حالها فصاحة واحدة في كافة الأحوال، وهذا انطلاقا من كونه ينتصر إلى الفصاحة التي تخدم المذهب الاعتزالي، أو المعتزلي، إلى البلاغة التي تخدم المذهب الأشعري، حيث أنه يجعلها

الوظيفة الأولى للغة، وفي هذا يقول العمري : " رفض ابن سنان التمييز بين الخطابة والشعر والرسائل واعتبر الفصاحة واحدة في جميع أجناس الخطاب، باعتبارها الوظيفة الأولى للغة، وهي الإيضاح والفهم، ولذلك تعذّر عليه الحسم في كثير من القضايا الخاصة بالخطابة مثل أحوال المخاطبين، والخاصة بالشعر مثل الغموض والإلغاز والهزل ... الخ، فاضطرّ إلى الرفض حينا والاستثناء حينا آخر " [48] .

2. خاتمة :

لعل أهم ما يمكن أن نخلُص إليه في ختام هذه الدراسة، هو أنّ ابن سنان الخفاجي، من وجهة نظر عامة، يعد من أهم بلاغيي القرن الخامس الهجري، ذلك على الرغم من قصر الحياة التي عاشها، وأما من وجهة نظر خاصة مقصورة على عمل محمد العمري، فإنه يعد ركيزة أساسية في تطور البلاغة لكونه يمثل الجانب الصوتي فيها، الذي يعد مناط الدراسة الشعرية والتخييلية عند العمري .

وعلاوة على ذلك، فقد ارتأينا في هذه الدراسة أن نضيف مجموعة من الاستنتاجات التي نجملها في النقاط التالية :

- يعد محمد العمري أحد أبرز المجددين الذين أعادوا كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية .
- لقد قسم العمري تاريخ البلاغة العربية إلى أربعة مراحل، هي : مرحلة النشأة (الجاحظ، وابن وهب)، ومرحلة الفصاحة والبلاغة (الجرجاني، والخفاجي)، ومرحلة البلاغة المعضودة (السكاكي، والقرطاجني)، ومرحلة الانحطاط (المراغي وما بعده) .
- تتعلق مرحلة الفصاحة والبلاغة، وهي المرحلة الثانية من مراحل تاريخ البلاغة عند العمري، بعمل علمين بلاغيين جليلين هما : عبد القاهر الجرجاني، وابن سنان الخفاجي .
- إن أهم ما يميز مرحلة الفصاحة والبلاغة هو أنها مرحلة ذات نزعة مذهبية .
- يصف العمري بلاغة الخفاجي، ببلاغة الصحة والتناسب .
- يعد عمل الخفاجي بالنسبة للعمري، أحسن وأجرأ محاولة لصياغة مشروع للبلاغة الصوتية .
- يرى العمري بأنّ الخفاجي انطلق من المستوى المذهبي، إلى المستوى البلاغي، إلى المستوى الصوتي، حتى استطاع صياغة مشروع بلاغي يبحث فيه عن سر الفصاحة عند العرب .
- هناك أربعة أنواع من المعاني التي يرمي إليها الخفاجي، وقد جاء ذكرها في هاته الدراسة .
- العملية التي قام بها ابن سنان لتصنيف المكونات الإيقاعية تحت مفهوم واحد، هي أوسع وأدق عملية تصنيفية عرفتها اللغة العربية إلى حدود عصر الخفاجي، على حسب ما يراه العمري .
- يمثل مشروع الخفاجي حلقة وصل بين تصور قدامة بن جعفر، وتوجه حازم القرطاجني .
- كذلك مما يراه العمري، فإن الخفاجي لم يميز بين أنواع الخطاب الاحتمالي (الشعر، والخطابة ... الخ)، ولم يكن له همٌّ واحد سوى التركيز على الفصاحة كونها تخدم مذهبه المعتزلي .

4. قائمة المراجع :

01- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، الطبعة الثانية، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2010م .

02- بنية الكلمة العربية والقوانين الصوتية، ربيح عمار، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد : 11، ماي 2017م .

03- البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، 1377هـ/1958م .

04- ديوان الخفاجي، تح : مختار الأحمدي نويرات، ونسيب نشاوي، الطبعة الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1428هـ/2007م .

05- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تح : الأستاذ عبد أ . مهنّا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1414هـ / 1994م .

06- ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، تح : أسماء أبو بكر محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418هـ / 1998م .

07- ديوان ابن نباتة السعدي، ج1، تح : عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، رفع عبد الرحمن النجدي، www.moswarat.com .

08- ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1380هـ/1961م .

09- ديوان الهذليين، القسم الثاني، الدار القومية للكتابة والنشر- القاهرة، 1385هـ / 1995م .

10- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م .

11- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح : د. داود غطاشة الشوابكة، الطبعة الأولى، دار الفكر ناشرون، دمشق، سوريا، 1427هـ/2006م .

12- سر الفصاحة، ابن سنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1403هـ / 1982م، . (نسخة ثانية) .

13- ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية من خلال كتابه سر الفصاحة، درية ياسين عبد الرحمن أحمد، رسالة دكتوراه، إشراف د. محمد الحسين علي الأمين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، السنة الجامعية : 1430هـ/2009م .

14- تاريخ الأدب العربي، ج3، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة .

15- شرح ديوان أبي تمام، ج2، الخطيب التبريزي، تح : راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1414هـ/1994م .

16- تحديث الدرس البلاغي عند الناقدين محمد عبد المطلب ومحمد العمري، رؤية نقدية، محمد سالم سعد الله، مجلة التربية والتعليم، المجلد 20، العدد1، (اسم الجامعة) 2013م .

5. الهوامش :

[1] تاريخ الأدب العربي، ج3، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، ص : 76

[2] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، الطبعة الثانية، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص : 405 .

[3] تحديث الدرس البلاغي عند الناقدين محمد عبد المطلب ومحمد العمري، رؤية نقدية، محمد سالم سعد الله، مجلة التربية والتعليم، المجلد 20، العدد1، (اسم الجامعة) 2013م، ص : 194 .

[4] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص : 306 . (مرجع سابق) .

[5] بنية الكلمة العربية والقوانين الصوتية، ربيح عمار، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد : 11، ماي 2017م، ص : 138.

[6] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح : د. داود غطاشة الشوابكة، الطبعة الأولى، دار الفكر ناشرون، دمشق، سوريا، 1427هـ/2006م، ص : 05 .

[7] ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية من خلال كتابه سر الفصاحة، درية ياسين عبد الرحمن أحمد، رسالة دكتوراه، إشراف د. محمد الحسين علي الأمين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، السنة الجامعية : 1430هـ/2009م، ص : 02

[8] ديوان الخفاجي، تح : مختار الأحمدي نويرات، ونسيب نشاوي، الطبعة الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1428هـ/2007م، ص : 553.

[9] البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، 1377هـ/1958م، ص : 95 .

[10] هذا البيت هو لفضلة السلمي، أحد الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام .

[11] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تح : الأستاذ عبد أ . مهنّا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1414هـ / 1994م، ص : 247 .

[12] سر الفصاحة، ابن سنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1403هـ / 1982م، ص : 58 . (نسخة ثانية) .

[13] نفسه، ص : 59

[14] نفسه، ص : 60

[15] نفسه، ص : 64

[16] نفسه، ص : 64، 65 .

[17] شرح ديوان أبي تمام، ج2، الخطيب التبريزي، تح : راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1414هـ/1994م، ص : 466 . وقد جاء في هذه النسخة : " بلا طائل سعد ولا طائر سهل " وليس : " بلا طالع سد ولا طائر كهل " .

[18] هذا البيت لأبي خراش الهذلي، ينظر : ديوان الهذليين، القسم الثاني، الدار القومية للكتابة والنشر– القاهرة، 1385هـ / 1995م، ص : 165 .

[19] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص : 66، 67 . (مرجع سابق)

[20] شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، ص : 10 . (مرجع سابق) وقد جاء في هذه النسخة : " وقد تفرعن في أوصاله الأجل " وليس " وقد تفرعن في أفعاله الأجل " .

[21] سر الفصاحة، ابن سنان، ص : 73 . (مرجع سابق)

[22] نفسه، ص : 74 .

[23] ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م، ص : 78 .

[24] سر الفصاحة، ابن سنان، ص : 77 . (مرجع سابق)

[25] ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، تح : أسماء أبو بكر محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1418هـ / 1998م، ص : 51 .

[26] سر الفصاحة، ابن سنان، ص : 85 . (مرجع سابق)

[27] ديوان ابن نباتة السعدي، ج1، تح : عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، رفع عبد الرحمن النجدي، www.moswarat.com ص : 182 .

[28] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص : 87، 88 . (مرجع سابق)

[29] ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1380هـ/1961م، ص : 247 .

[30] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص : 89 . (مرجع سابق)

[31] نفسه، ص : 92، 93 .

[32] نفسه، ص : 93، 94 .

[33] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص : 405 . (مرجع سابق) .

[34] نفسه، ص : 407 .

[35] نفسه، ص : 410

[36] نفسه، ص : 410 .

[37] ينظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص : 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416 . (بتصرف)

[38] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، ص : 422، 423 .(مرجع سابق)

[*] يقصد العمري بالمحافظة هنا : المحافظة على الأعراف والسنن .

[39] نفسه، ص : 416، 417 .

[40] نفسه، ص : 423

[41] نفسه، ص : 431

[42] نفسه، ص : 431

[43] نفسه، ص : 441

[44] نفسه، ص : 444

[45] نفسه، ص : 447

[46] نفسه، ص : 450

[47] نفسه، ص : 461

[48] نفسه، ص : 454